دور السنة النبوية في محاربة الإلحاد

دكتور/ مالك حباب سندي الرشيدي
مدرس مساعد – قسم التفسير والحديث
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الكويت

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله تبارك وتعالى إنما خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}**(١)، ومن أعظم ما ينقض هذا المقصد العظيم الإلحادُ المعاصر القائم على إنكار وجود الرب سبحانه، وتكذيب البعث والجنة والنار وسائر الغيبيات.

ولا شك أن هذا الخطر بدأ بالانتشار في زمننا المعاصر، حيث كان في السابق محصورا في أمثلة قلائل على مر التاريخ، ومن أعظم النصيحة للأمة الإسلامية بل للبشرية جمعاء أن يتصدى أهل الإيمان لهؤلاء الضالين المضلين، الذين يتخفون خلف شعارات التقدم والعلم والرقي والحضارة، وهي شعارات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب!

لهذا أحببت أن أساهم في الوقاية من هذا المرض العضال قبل وقوعه وفي العلاج منه إذا وقع، وذلك بالاستهداء بالسنة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

ترجع أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره إلى ما يلي:

١. خطر الإلحاد ومناقضته للإيمان بالله.

(١) [سورة الذاريات : ٥٦] .

٢. انتشار هذا المرض بين الناس.
٣. التصدي لهذا المرض الخطير والتحذير منه؛ حتى لا يتأثر فيه ضعيف الإيمان.
٤. بيان مكانة السنة النبوية في كونها علاجاً لكل الانحرافات الفكرية القديمة والمعاصرة.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة عليمة في هذا الباب، خصوصا أن الإلحاد المعاصر بأفكاره وانتشاره لم يكن موجودا في السابق كما هو اليوم، مع وجود عدد من الكتابات في هذا الباب لكنها منحصرة في الرد على الشبهات الموجهة للإسلام أو بيان محاسن الإسلام، لكنها لم تقم بإبراز كيف عالجت السنة النبوية هذا الخطر العظيم بوقاية الناس منه وعلاجهم منه.

لذا قمت بتسليط الضوء حول هذا الأمر بما ينفع الناس إن شاء الله.

خطة البحث:

سرت في هذا البحث على النحو التالي:

مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة:

التمهيد وفيه: تعريف الإلحاد، والاستهداء بالسنة النبوية في معالجة الإلحاد المعاصر.

المبحث الأول: دور السنة في الوقاية من الإلحاد:

المطلب الأول: الوقاية من الشبهات بالبعد عنها.

المطلب الثاني: التأسيس الإيماني وتعزيز اليقين.

المطلب الثالث: اللجوء إلى الله والتضرع إليه في طلب الهداية.

المطلب الرابع: طلب العلم الشرعي وأخذه عن أهله.

المبحث الثاني: دور السنة في العلاج من الإلحاد.

المطلب الأول: الاستدلال بالحق المتقرر في النفس قبل وقوع الشبهة.

المطلب الثاني: تقرير دليل الفطرة في الرد على الباطل.

المطلب الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بإقامة الحجة على المبطلين والزائغين.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

قائمة المراجع.

الفهارس.

التمهيد

أولا: تعريف الإلحاد:

أصل الإلحاد هو الميل والعدول عن الشيء[١].

قال ابن السكيت: الملحد: العادل عن الحق، المدخل فيه ما ليس فيه، يقال: قد ألحد في الدين، و لحد، أي: حاد عنه[٢].

قال الشيخ عبد العزيز ابن باز في معرض كلامه عن المشركين: "وهكذا من ينكر وجود الله، ويقول: ليس هناك إله، والحياة مادة، كالشيوعيين والملاحدة المنكرين لوجود الله، هؤلاء أكفر الناس وأضلهم وأعظمهم شركا وضلالا، نسأل الله العافية"[٣].

فالإلحاد المعاصر مبني على نفي الخالق سبحانه، وهذا النفي لم يكن منتشرا بين الناس كما هو اليوم، بل يكاد يكون مستبعدا في كل عصر ومصر؛ وذلك لأن الإنسان بفطرته يؤمن بوجود إله خالق، وهذه حقيقة لا ينكرها حتى الملحد، لكنه يعاند ويكابر!

يقول المؤرخ الإغريقي (بلوكارل): "قد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبداً مدن بلا معابد"[٤].

ثانيا: الاستهداء بالسنة النبوية في معالجة الإلحاد المعاصر:

لا شك أن الإلحاد المعاصر لم يكن موجودا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كانت الأمم بمجملها تؤمن بوجود خالق لهذا الكون، وإن كان أكثرهم مشركا به، كما قال سبحانه: **{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}**[٥]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "من إيمانهم إذا قيل لهم: من خلق السموات؟ ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله، وهم مشركون به!" [٦]

(١) تاج العروس للزبيدي (٩/ ١٣٥ – ١٣٦).

(٢) لسان العرب لابن منظور (٣/ ٣٨٨).

(٣) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (٣٢/٤ – ٣٣).

(٤) الحملة الصليبية على العالم الإسلامي ليوسف العاصي (٢٩/٢) .

(٥) [سورة يوسف : ١٠٦] .

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٤/ ٤١٨).

وكما هو معلوم أن القرآن الكريم صالح لكل مكان وزمان، وفيه الهدى والنور والشفاء والبيان لكل ما يحتاجه الناس في دينهم ودنياهم كما قال سبحانه: **{ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا}**[1].

والسنة النبوية في هذا الأمر كالقرآن الكريم، كما في حديث المقدام بن معدي كرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ...)**[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إني قد خلفت فيكم اثنين، لن تضلوا بعدهما أبدا: كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض)**[3].

ومن هذا الحديث نأخذ حكماً جليلاً، وهو أنه واجب على المسلم أن يتمسك بالكتاب والسنة في كل شؤون حياته، فهما صالحان لكل زمان ومكان، وفيهما الحلول لما يتعرض له الناس من فتن الشبهات والشهوات.

لذلك سأستهدي بالسنة النبوية في معالجة ومحاربة الإلحاد المعاصر من خلال النظر في عمومات السنة النبوية وما دلت عليه الأحاديث الشريفة من طرق متنوعة للعلاج والوقاية من هذا الفكر الشاذ الدخيل على البشر، من خلال المبحثين التاليين، وهما دور السنة في الوقاية من الإلحاد، و دور السنة في العلاج من الإلحاد.

---

(١) [سورة الفرقان : ٣٣] .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤/٢٠٠) برقم ٤٦٠٤ وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه البزار في المسند(١٥/ ٣٨٥)، والحاكم في المستدرك (١/١٧٢)، وقال الألباني: إسناده حسن، انظر: منزلة السنة في الإسلام للألباني ص١٨ .

المبحث الأول: دور السنة في الوقاية من الإلحاد

للسنة النبوية دور بارز للوقاية من هذا الفكر، قبل التأثر بشبهاته، وذلك من جوانب كثيرة ألخصها في أربعة مطالب:

المطلب الأول: الوقاية من الشبهات بالبعد عنها:

وهذا منهج نبوي أصيل، فالسنة النبوية تبعد المسلم كل البعد عن كل ما يضره في دينه أو دنياه، فالبعد عن التعرض للشبهات وعدم القراءة أو الاطلاع لما يقوله أهلها هو الواجب على المسلم، وهذا الابتعاد هو أشبه بالحجر الصحي للأمراض، وما أجدر الأمراض الفكرية بحجر صحي يبعد الناس عنها، ويتأكد هذا فيمن كان قليلة البضاعة في العلم الشرعي، لئلا يقع في حبائل الملحدين الضالين المضلين.

ويدل لهذا الأصل العظيم من السنة النبوية حديث عمران بن حصين رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(من سمع بالدجال فلْينأ عنه، فو الله، إن الرجل ليأتيه –وهو يحسب أنه مؤمن– فيتبعه، مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات)**[(١)].

وهذا الحديث وإن كان وارداً في الدجال فهو يشمل جنس الشبهات الفكرية التي تصد العبد عن الحق والهدى، ومنها الشبهات الإلحادية .

قال ابن تيمية: "وفتنة الدجال لا تختص بالموجودين في زمانه بل حقيقة فتنته الباطل المخالف للشريعة المقرون بالخوارق فمن أقر بما يخالف الشريعة لخارق فقد أصابه نوع من هذه الفتنة، وهذا كثير في كل زمان ومكان، لكن هذا المعين فتنته أعظم الفتن فإذا عصم الله عبده منها سواء أدركه أو لم يدركه كان معصوماً مما هو دون هذه الفتنة"[(٢)].

فلا ينبغي للمسلم أن يأمن على إيمانه من الشبهات، فيكون معجبا بقدرته وعقله على مواجهة الشبهات ثم لا يلبث إلا وهو قد اغتر بها وتأثر منها.

لذلك يجب على المسلم أن يبتعد عن الشبهات ما أمكنه ذلك، وهو من أعظم سبل الوقاية من الإلحاد.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، (٤/ ١١٦) برقم ٤٣١٩، وانظر: صحيح الجامع الصغير للألباني برقم ٦٣٠١ .

(٢) بغية المرتاد لابن تيمية ص٤٨٣.

ويدل لهذا الأصل أيضا من السنة النبوية حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم، فغضب! وقال: (**أَمُتَهَوِّكُونَ فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حيّا ما وسعه إلا أن يتبعني**)[1].

ومن مما يدخل في الابتعاد عن الشبهات: مجانبة ومفاصلة الملحدين، وعدم مصاحبتهم أو مخالطتهم، وذلك أن الإنسان يتأثر بمن يصاحب، وأن الجليس الدائم يأخذ من خلق جليسه وخليله، ويتأثر بقوله وفكره ومنطقه، ويدل لهذا من السنة النبوية حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة**)[2].

وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**)[3].

المطلب الثاني: التأسيس الإيماني وتعزيز اليقين:

غرس الإيمان في قلوب المسلمين، وتعليم الناس توحيد الله جل في علاه، له أثر كبير في دفع كثير من شبهات الملحدين، فالحق دائما أعلى وأقوى ولا يجتمع معه الباطل، كما قال سبحانه: {**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**}[4].

وإذا نظرنا إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم وجدناه حريصا على ترسيخ الإيمان والتوحيد في قلوب الناس قبل كل شيء، بل هو أول أمر يدعى إليه الناس وهو معرفة الله وتوحيده يقول ابن عباس رضي الله عنهما: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له: (**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٣/ ٣٤٩) برقم ١٥١٥٦ ، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٣٤/٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، (٦٣/٣) برقم ٢١٠١، ومسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، (٢٠٢٦/٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٤/ ١٤٢) برقم ٨٤١٧، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده جيد.

(٤) [سورة الأنبياء : ١٨] .

أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا، فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوقَّ كرائم أموال الناس)[(١)].

وهذا اليقين بالله تعالى يجب أن يُعلّمَ للصغار والكبار وجميع طبقات المجتمع على حد سواء، ففي حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه أنه قال: كانت لي جارية ترعى غنما لي قِبَل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: **(ائتني بها)** فأتيته بها، فقال لها: **(أين الله؟)** قالت: في السماء، قال: **(من أنا؟)** قالت: أنت رسول الله، قال: **(أعتقها، فإنها مؤمنة)** [(٢)].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه معاني الإيمان الراسخة وهو غلام صغير، حيث قال له: **(يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)** [(٣)].

المطلب الثالث: اللجوء إلى الله والتضرع إليه في طلب الهداية:

ويظهر هذا المنهج من خلال دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يهدي الله إلى الحق والصواب، ومن هو دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاجة كبيرة لهذه الدعوات، وذلك من أعظم سبل الوقاية والعصمة من الإلحاد وشبهات الملحدين، وكما هو معلوم أن الله سبحانه يستجيب لعبده ما لم يوجد مانع من موانع الدعاء.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (١١٤/٩) برقم ٧٣٧٢، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (٥١/١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته (٣٨١/١) برقم ٥٣٧.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه: في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (٢٤٨/٤) برقم ٢٥١٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء، ويعلمه صغار أصحابه.

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر ...: (**اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت**)[1].

وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء بأن يثبته الله على دينه.

قالت أم سلمة رضي الله عنها: كان أكثر دعائه: **(يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)**، قالت: فقلت: يا رسول الله، ما لأكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؟ قال: **(يا أم سلمة، إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ)**[2].

وكان عليه الصلاة والسلام يستفتح صلاته من الليل بدعاء عظيم يطلب فيه من ربه أن يهديه للحق في كل ما اختلف الناس فيه، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: **(اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)** [3].

المطلب الرابع: طلب العلم الشرعي وأخذه عن أهله:

طلب العلم من أعظم أسباب الوقاية من شبهات الملحدين، وذلك لأن العلم يكشف للإنسان حقيقة الأقوال، ومآلاتها، وأعني هنا أصالة العلم الشرعي علم الكتاب والسنة، وكذلك العلوم الدنيوية التي لها أثر في كشف زيف علوم هؤلاء الملحدين، حيث لا تسند أقوالهم إلى حقائق علمية، وإنما هي تخمينات وظنون واهمة ليست من العلم في شيء.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر، (٢/ ٦٣)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (الأم) (١٦٨/٥) .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه في أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥/ ٤٢٣) برقم ٣٥٢٢ ، وقال : حديث حسن.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٥٣٤/١)، برقم ٧٧٠.

وقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم على أهمية طلب العلم، فقد جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(طلب العلم فريضة على كل مسلم)**[١].

ولا يكفي أن يطلب العلم فحسب! بل لابد من أخذ العلم من أهل المعتبرين وهم أهل الذكر كما سماهم الله سبحانه: **{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}**[٢].

تدل هذه الآية الكريمة على أن هذا العلم دين ووحي من الله، وأن أهل العلم هم الوارثون لهذا العلم عن الأنبياء والمرسلين، وهذا ما نص عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: **(وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)** [٣].

ومن المواقف التي تدل على عناية السلف الصالح بهذا المنهج النبوي وخصوصا عند حدوث نازلة فكرية، أو مسألة عقدية أو فتنة في الدين، ما أخرجه مسلم في أول صحيحه وساق بإسناده عن يحيى بن يعمر، قال: "كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قِبَلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر! وأن الأمر أُنُف! قال: (فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني) ..."[٤].

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه (٨١/١) برقم ٢٢٤، وانظر: صحيح الجامع الصغير للألباني (٧٢٧/٢) .

(٢) [سورة الأنبياء : ٧] .

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم ٢١٧١٥ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٩/٢) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة (٣٦/١)، رقم ٨.

المبحث الثاني: دور السنة في العلاج من الإلحاد

قد يقع الإنسان في الإلحاد أو يقع في شيء منه كتأثره بشبهة من شبهه، فكيف يُعالج من يقع في شيء من ذلك؟

للسنة النبوية دور بارز في علاج هذا الفكر المنحرف عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وذلك من جوانب كثيرة أبرزها في أربعة مطالب:

المطلب الأول: الاستدلال بالحق المتقرر في النفس قبل وقوع الشبهة:

لابد أولا من معرفة نوع الإلحاد الذي يعتنقه الملحد، هل هو مكتفٍ بنفي الخالق لعدم قناعته بأدلة وجوده سبحانه وتعالى وأنه الرب المدبر الخالق الرازق، أم هو يدلل على هذا النفي ويناظر عليه ويسوق الأدلة عليه !

فلابد من فهم اعتقاده أولا لمعرفة علاجه وسوق الأدلة له بحسب اعتقاده، فالنزول الى مستوى تفكير الملحد ودحض شبهاته ينبني على هذه المعرفة المسبقة باعتقاده، وهكذا كان علاج النبي صلى الله عليه وسلم لمن يخالف الحق كليا أو جزءيا، فيدعوه ويبين له بحسب قناعاته المسبقة وبحسب اعتقاداته الراسخة.

ففي حديث أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مَهْ، مَهْ، فقال: **(ادنُهْ)**، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: **(أتحبه لأمك؟)** قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: **(ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)**، قال: **(أفتحبه لابنتك؟)** قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: **(ولا الناس يحبونه لبناتهم)**، قال: **(أفتحبه لأختك؟)** قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: **(ولا الناس يحبونه لأخواتهم)**، قال: **(أفتحبه لعمتك؟)** قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: **(ولا الناس يحبونه لعماتهم)**، قال: **(أفتحبه لخالتك؟)** قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: **(ولا الناس يحبونه لخالاتهم)** قال: فوضع يده عليه وقال: **(اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه)**، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

فانظر كيف بين له النبي صلى الله عليه وسلم قبح الزنا وقام بإقناعه من خلال قناعاته السابقة، ومن أحسن البيان والتدليل على هذا المطلب قوله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ**

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٦/ ٥٤٥) برقم ٢٢٢١١ ، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط.

رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[١].

المطلب الثاني: تقرير دليل الفطرة في الرد على الباطل:

وذلك من خلال تنمية دليل الفطرة في قلب الملحد أو قلب المتأثر بشبهات الالحاد، وضرب الأدلة على وجود الله وعلى إثبات النبوة، ودليل الفطرة موجود في قلوب البشر منذ أن خلقهم ربهم، كما قال سبحانه: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}**[٢]، ومن فضل الله أن هذه الفطرة موجودة في قلوب الناس مهما حاولوا طمسها وإنكارها، وهم بذلك يكابرون ويعاندون ما في قلوبهم، وهذا ما كان يفعله فرعون في إنكاره وجحوده، **{حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ}**[٣]، فظهرت تلك الفطرة التي كان يطمسها بعناده وكبره، وتبين أنه كان موقنا بصدق نبوة موسى عليه السلام وأن الله تبارك وتعالى هو من أرسله، كما قال سبحانه: **{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ}**[٤].

وتنمية هذه الفطرة ومحاولة الاستفادة منها حين دعوة الملحد وعلاجه من إلحاده بحاجة لأهل العلم المختصين في هذا الباب، ممن يعرف أقوال الملحدين وكيفية الرد عليهم ومعرفة الأدلة المناسبة التي تدحض مزاعمهم وشبهاتهم، فيكون لها أثر في إقناعهم أو على أقل الأحوال تخفيف حدة إنكارهم للخالق مما قد يدفعهم للإيمان مستقبلا.

ولهذا أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاستفادة من هذه الفطرة، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه ...)** الحديث[٥].

---

(١) [سورة إبراهيم : ٤] .

(٢) [سورة الروم : ٣٠] .

(٣) [سورة يونس : ٩٠] .

(٤) [سورة النمل : ١٤] .

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب {لا تبديل لخلق الله} (١١٤/٦) برقم ٤٧٧٥، ومسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٢٠٤٧/٤).

المطلب الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بإقامة الحجة على المبطلين والزائغين:

معلوم أن الإلحاد كفر بالله، والكفر والشرك أعظم منكر عُصِي الله به، وبالنظر إلى السنة النبوية نجدها قد أمرت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشددت على هذا الأمر بشكل واضح لا لبس فيه.

قال الله تعالى: **{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[1]، وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)** أخرجه مسلم[2].

والنهي عن المنكر من أعظم الأسباب الزجر عن الإلحاد، فهو الطريق إلى التشافي من هذا الفكر المنحرف، وأي جهاد أعظم من جهاد من ينكر جود الله تبارك وتعالى، ويدعي أن الطبيعة هي التي أبدعت الكون وأوجدته، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

(١) [سورة آل عمران : ١٠٤] .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (١/ ٦٩).

الخاتمة

وهي مشتملة على عدد من النتائج والتوصيات:

أولا: النتائج:

١- السنة النبوية صالحة لكل مكان وزمان، وبالسنة النبوية يهتدي المسلم إلى حل كل المشكلات، ويظهر لنا جليا كيف أن السنة النبوية عالجت جذور المشكلات الفكرية.

٢- دلالة السنة النبوية في علاج الإلحاد على نوعين دلالة وقاية قبل وقوع الانحراف الفكري، ودلالة علاج بعد وقوعه.

٣- أوتي النبي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ومن لازم ذلك اشتمال كلامه على قواعد كلية، وضوابط علمية يكون من خلال الرد على أهل الضلال ومنحرفين.

ثانيا: التوصيات:

١- أوصي باستقصاء طرق الوقاية والعلاج لهذا المرض العضال من خلال الاستهداء بالوحيين كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

٢- جمع شبهات الملحدين حول السنة النبوية والرد عليها.

٣- التأكيد في الدراسات العلمية المتعلقة بالسنة النبوية في الربط بين الواقع المعاصر وبين السنة، حتى يكون للأبحاث الحديثية دور في علاج المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين

قائمة المراجع

١) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: موسى الدويش، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

٣) تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٤) تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

٥) الجامع الكبير (سنن الترمذي)، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٦) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧) الحملة الصليبية على العالم الإسلامي، المؤلف: يوسف العاصي إبراهيم الطويل، الناشر: صوت القلم العربي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م .

٨) سنن ابن ماجة، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

٩) سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

١٠) صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

١١) صحيح سنن أبي داود (الأم)، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ)، دار النشر : مؤسسة غراس للنشر و التوزيع – الكويت، الطبعة : الأولى – ١٤٢٣ هـ.

١٢) لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

١٣) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

١٤) المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠ .

١٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

١٦) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحققون: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى ٢٠٠٩م .

١٧) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٨) منزلة السنة في الإسلام، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: الدار السلفية – الكويت، الطبعة: الرابعة – ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م